لحرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف
الدقل لا يرفع غدا العشا ولا عشا لغدا اهين المؤنه لين الخلق كريم الطبيعه جميل المعاشره طليق الوجه
بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذله جواد من غير سرف رحيم
لكل ذي قربي ومسلم رقيق القلب دايم الاطراق لم يتشبع قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابو
سلمة فدخلت على عايشة فحدثتها بذلك عن ابي سعيد فقالت ما اخطا منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار
وان كان ليظل جايعا فيلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك من صيام يومه ولو شا ان يسال ربه فيوتي
بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما ارى من الجوع
فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا
عايشه اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم تعالى فاكرم مابهم واجزل ثوابهم واجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر
اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخره وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلاي قالت
عايشه فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى صلى الله عليه وسلم فما نقل من احواله صلى الله عليه
وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق محله صلى الله عليه
وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله تعالى منصبا في الدين والدنيا
فلا عز ولا رفعة الا في الاقتدا به صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام
فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدردا اعلم ان لله
تعالى عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبيا هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوه ابدل الله تعالى مكانها قوما
من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاه ولا حسن حليه ولكن بصدق الورع
وحسن النيه وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغا مرضات الله تعالى وتواضع في غير مذله وهم
قوم اصطفاهم الله عز وجل واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم
خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم
لا يلعنون شيا ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا
هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشه وصفتهم السلامه
ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم
الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى واشتياقا اليه وقدما في استباق
الخيرات اوليك هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدردا ما سمعت بصفة اشد من هذه الصفه وكيف ان ابلغها

اوليك حزبه

قال يا بنيك وبين ان تكون من اوسعها الان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخره
وبقدر حبك للاخره تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب افرغ
عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى
وطلب مرضاته **بيان الطريق في معالجة** الكبر واكتساب التواضع **اعلم** ان الكبر من المهلكات ولا
يخلو احد من الخلق عن شي منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادويه القامعة له
القاتلة وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني
دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره المقام الاول
في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا الا بمجموعهما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه جل وعز
ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفه علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه
لا يليق به الا التواضع والذله والمهانه واذا عرف ربه جل وعز علم انه لا يليق العظمه والكبريا الا بالله
تعالى اما معرفة ربه جل وعز وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفه واما معرفه
نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذله ويكفيه ان يعرف معنى اية
واحده في كتاب الله عز وجل فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال
تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه الى قوله ثم اذا شا انشره فقد اشار الى اول خلق الانسان والى
اخر امره والى وسطه فلينظر الانسان الى ذلك ليفهم معنى هذه الايه **اما** اول الانسان فهو انه لم يكن شيا
مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شي اخس واقل من العدم والمحو وقد كان
كذلك في العدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشيا ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفه ثم من علقة ثم من
مضغه ثم جعله عظما ثم كسى العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيا مذكورا فما صار مذكورا الا
وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا
يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه
وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه
قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر الايه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال تعالى ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى
ما تيسر له في مدة حيوته الى الموت ولذلك قال تعالى من نطفة امشاج نبتليه الايه انا هديناه
السبيل ومعناه انه احياه بعد ما كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفه ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد
ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضا بما فيها من العجايب والايات

Copyright © King Saud University